

تحقيق الأمن اللغوي والثقافي للطفل الجزائري في ظل الفضائيات المتخصصة بالأطفال

Achieving the linguistic and cultural security of Algerian children in the light of specialized satellite channels for children

أمال ورك

جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2، الجزائر

amel.ouerka@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/07. تاريخ القبول: 2024/11/22

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة واقع اللغة العربية في برامج الأطفال، في ظل العولمة الثقافية، والانفتاح الإعلامي على الفضائيات المتخصصة بالأطفال، مما يجعلنا أمام قضية متفرعة يصعب تناولها من زاوية واحدة بل بعدة مقاربات، كونها تتعلق بالقوموية والانتماء إلى لغة الضاد، وكل ما يحيط بذلك من عناصر ثقافية واجتماعية، بما فيها اللغة، التي يعتبر استقرارها على نحو سليم، صحيح، بعيد عن كل عبث تحققاً لأمنها، وبالتالي توفر الجوهر لتشكيل ثقافة الأمة، في زمن تعددت فيه الوسائط لنقل مختلف الثقافات على غرار القنوات المتخصصة بالطفل، وكيف أنها تلعب دوراً هاماً في إرساء مبادئ الانتماء للثقافة العربية، والتي من أبرز مظاهرها اللغة العربية الفصحى. وتوصلنا من خلال البحث إلى مجموعة من النتائج من بينها أن العولمة وسياسة التلهيج، بالإضافة إلى كثافة مشاهدة الطفل للقنوات هي أهم مهددات الأمن اللغوي والثقافي للطفل، وقد خرجنا بعدد من التوصيات كمحاولة لمواجهة تلك التحديات والحفاظ عليه.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية. الثقافة. الأمن اللغوي. القنوات المتخصصة. الطفل

Abstract: This research paper aims to address the reality of the Arabic language in children's programmes, in light of cultural globalization, and media openness to specialized satellite channels for children, which makes us faced with a branching issue that is difficult to address from one angle but several approaches, as it relates to nationalism and belonging to the language of the daad, and all the surrounding cultural and social elements, including the language, whose stability is properly, right, far from all absurdities in order to achieve its security, and thus provide the essence to form the culture of the nation, in a time of many It has the media to convey different cultures such as the channels specialized in children, and how they play an important role in establishing the principles of belonging to Arab culture, the most prominent of which is the classical Arabic language. Through research, we have come up with a range of findings, including that globalization and the policy of irritability, as well as the intensity of children's viewing of channels, are the most important threats to the linguistic and cultural security of the child, and we have come up with a number of recommendations as an attempt to meet and maintain those challenges.

Keywords: Arabic language - culture - linguistic security - specialized channels - child

1. مقدمة:

إن استمرار أي لغة وبقاءها يعتمد على مدى وعي الأمة التي تنتمي إليها، وحرص أهلها على رعايتها وحمايتها، والسعي إلى تطويرها ونشرها، والعربية كغيرها من اللغات الإنسانية، تتبادل التأثير والتأثير، وفقا لنواميس الكون في التواصل والثقافة، وعلى ذلك كانت الدعوة إلى الأمن اللغوي والثقافي للحفاظ على كيان اللغة العربية والتي تعتبر جزء لا يتجزأ عن الثقافة العربية والإسلامية، تتأثر بمعطيات العصر والتبادل المعرفي الفائق، وطغيان لغات العولمة. فالأمن اللغوي والثقافي جزء من أمن الأمة العام، يحفظ للقوميات خصوصيتها، لكن في ظل وتيرة تحولات متلاحقة خلال العقود الأخيرة، وما واكب ذلك من تقدم علمي باهر مصحوب بثورة اتصالات ضخمة، انبثقت مفاهيم متعددة ومتنوعة وعلى مستويات شتى كمفهوم العولمة والدور الذي لعبه في مد جسور التواصل في آفاق ثقافات الشعوب.

ولأن الثقافة تتعدد مشاربها من فرد لآخر كل حسب سنه وبيئته، فقد أردنا في سياق ذلك تسليط الضوء على أحد تلك المشارب ألا وهو الإعلام المرئي، من خلال الحديث عن تأثير الفضائيات، وبما أن الموضوع يخص الطفل فسيكون التركيز على الدور الذي تقوم به برامج الأطفال في إثراء المضمون الثقافي وتعزيز القيم لديه، كونها وسيط ناقل للخبرات والمعلومات وفق خطط وآليات مرسومة، استطاعت بعض الدراسات الإشارة إلى دورها المؤثر والتنبية إليها في أكثر من موضع، وما سينتج عنها مستقبلا بوصفها تأثيرات تظهر بشكل واضح على سلوك الطفل الذي يتعرض يوميا لمئات من الرسائل الوافدة تحمل في طياتها ثقافة البلد المنتج لهذه الرسائل الاتصالية، وفي ظل كل تلك العوامل وأخرى يصبح الأمن اللغوي والثقافي مطلب قد يعسر تحقيقه، ومن هنا تبلورت لدينا الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهمت برامج الأطفال في نشر الثقافات الأخرى للطفل في الجزائر، وما انعكاسات ذلك على أمنه اللغوي والثقافي؟

ولمعالجة هذه الإشكالية العامة، طرحنا مجموعة من الأسئلة وسعينا للإجابة عنها في محاولة منا للإحاطة بالموضوع وهي:

- كيف يمكن لبرامج الأطفال تحقيق الوظيفة التثقيفية والتوجيهية والترفيهية للطفل، وفي الوقت نفسه الحفاظ على هويته؟

- ما مدى استفادة الطفل من محتوى القنوات الفضائية المتنوع في تأسيس مدركاته الثقافية، دون المساس بأمنه الثقافي واللغوي؟

- ماهي التحديات التي تواجه اللغة العربية أثناء استغلالها كوعاء نورد به ثقافة غير عربية؟ وأي حلول يمكن تقديمها؟

تكمن أهمية هذا البحث في تطرقه لموضوع على درجة من الحساسية بتحليل منهجي ودقيق، كونه يجمع بين الحديث عن مرحلة عمرية حرجية في حياة الإنسان، وتقدير تلك المرحلة ودورها في تشكيل شخصيته، مع ما يمكن أن يسهم في تكوين تلك الشخصية من عوامل خارجية محيطة بها، بإيجابياتها وسلبياتها، وفق المنهج الوصفي القائم على التحليل والمسح لمواد إعلامية معروضة في إحدى القنوات المتخصصة بالأطفال (mbc3)، بهدف الحصول على بيانات كافية متعلقة بالظاهرة المدروسة.

تصب أهداف الدراسة إجمالا في تحليل الشحنة الثقافية الوافدة على الطفل الجزائري ضمن مقارنة لسانية اجتماعية، وذلك عن طريق:

- تشخيص واقع لغتنا العربية في البرامج الموجهة للطفل، وتبليغ المهتمين بشأنها في المجتمع والأسرة من أجل القيام بدور الرقابة لما ييثر ويعرض، والمساعدة في انتقاء الأفضل، أو إيجاد بدائل ترضي المشاهد الصغير.

- التعرف على الآثار الإيجابية والسلبية للمادة الإعلامية على منظومة القيم الاجتماعية والثقافية لدى الجمهور الصغير، وربط ذلك بأنماط المشاهدة، مع اتخاذ قناة mbc3 للأطفال كأ نموذج للدراسة.

2. مصطلحات البحث:

1.2. الأمن اللغوي: يرجح ظهور هذا المفهوم في الولايات المتحدة الأمريكية على يد عالم الاجتماع اللغوي "وليام لاوف" سنة 1966، وانتشر فيما بعد في البلدان التي تتميز بالتعدد اللغوي والتعدد الثقافي واختلاف جنسيات الجاليات القاطنة فيها، على غرار كندا، بلجيكا وسويسرا، وكذا في البلدان المتشددة في غيرتها على لغتها كما هو الحال في ألمانيا وحتى فرنسا. ويمكن تعريف الأمن اللغوي بأنه حماية اللغة والحفاظ عليها، واتخاذ التدابير العلمية والموضوعية لصونها من كل انحراف في نظامها التواصل، سواء من حيث أصواتها أو مفرداتها أو تراكيبها (عوامل داخلية)، أو ما يؤدي إلى زوالها أو المساس بسمعتها ومكانتها (عوامل خارجية)، بالإضافة إلى العمل الذي يجعلها تتطور وتصبح قادرة على التعبير عن الوسائل الحضارية المختلفة (عزوز، 2018، 102)

2.2. الأمن الثقافي: في مفهومه العام يعني توفير كل التدابير والإجراءات التي بوسعها الحفاظ على ثقافتنا وقيمنا وعاداتنا ولغتنا وكل ما يشكل جامعا لنا، (نحلة وجبر، دت، 36) ويعد الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضا: الأمن الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي، ولعل جانب الأمن الثقافي من أهم جوانب الأمن القومي، لأنه يمثل الحفاظ على الذاتية والهوية في مواجهة محاولات الاحتواء والهيمنة على الشخصية القومية، ولا شك أن الدفاع عن الوجود يكون قبل الدفاع عن الحدود (النيجري، 1991، 15)

2.3. القنوات الخاصة بالأطفال:

هي تلك القنوات الفضائية العربية التي تستهدف الطفل العربي في المقام الأول، وتبث برامجها في إطار من المتعة والتسلية والترفيه من أجل إمتاع الطفل وإشباع احتياجاته، في قوالب إعلامية وفنية متنوعة.

3. اللغة والثقافة:

اشتهرت في أوساط الباحثين ثنائية (اللغة والثقافة) حيث سعوا إلى إبراز الرابط بينها من خلال المعطيات العلمية والتاريخية والواقعية، وتحليلا لكلا المفهومين، فاللغة عامة كما يعرفها محمد المبارك "كائن حي يعيش مع الانسان، ويخضع لمختلف مظاهر التطور التي يمر بها الانسان في بيئته، فأىّ تغير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من الزمان" (المبارك، 1975، 232)، كما يرى كلود ليفي ستراوس أن "اللغة المستعملة في مجتمع ما تعبر عن ثقافة السكان العامة، وهي بمعنى آخر قسم من الثقافة، إذ أنها تؤلف عنصرا من عناصرها، بل إنه يعدّها شرطا من شروط الثقافة وذلك لأن الفرد يكتسب ثقافة جماعته بواسطة اللغة" (ستراوس، 1977، 90). أما نبيل علي فيعتبر "اللغة أبرز السمات الثقافية بلا منازع، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبته نغمة لغوية" (علي، 2001، 223). من خلال التعريفات السابقة وغيرها من التعريفات المتعددة التي لا يتسع المقام لذكرها جميعها نستشف طبيعة العلاقة بين اللغة والثقافة، ومدى ارتباطهما ببعض، وكيف أنّ اللغة فاقت حدود كونها وسيلة اتصال وتواصل فحسب، وإنما هي أيضا وعاء ثقافي بوسعها أن تدمج الفرد في ثقافة مجتمعه، وتكسبه تركيباته الذهنية المختلفة خلال عملية التفاعل معها، بل يتعدى ارتباط الثنائية (لغة، ثقافة) حد الوجود لكليهما، فبانقراض اللغات تنقرض الثقافات التي تعتبر اللغات الممثل الرسمي والمعبّر عنها على مدى الأزمان، كما يعتبر التنوع اللغوي في منطقة جغرافية ما أكثر صور التعبير عن تنوعها الثقافي.

1.3. ثقافة الطفل ونمو لغته:

تعرف ثقافة الطفل على "أنها خليط مما يرثه الطفل من أسرته وما يصله من عادات وتقاليد وما يتصف به من خلق وما تتميز به من ملامح، وكل ما يسود مجتمعه من أفكار وآراء وقوانين وما يشبع فيه من ثقافة عامة" (بحري، 2008، 203)، أما عن مجالها فهو واسع جدا ولا ينحصر في المصادر المشار إليها في التعريف السابق، بل هناك المسجد والمدرسة، أدب الطفل بمكوناته العديدة، المكتبات العامة والخاصة، الجمعيات الثقافية والشبابية، المتاحف، وسائل الإعلام المختلفة، وبالأخص القنوات المتخصصة بالطفل ودورها البارز في تشكل هذه الثقافة أكثر من غيرها لأنها احتلت النسبة الأعلى بين المصادر الأخرى.

وتنبع أهمية ثقافة الطفل من وظيفتها الأساسية في تحويل المولود الجديد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، وتبدأ هذه العملية منذ الميلاد وحتى الممات، وهي تحتل مكانة مهمة جدا منذ سنوات الطفولة وصولا إلى سن الرشد، لأنها تعتبر تنشئة اجتماعية، وعاملا في تشكل الهوية الذاتية، فضلا عن تكوين الشخصية وتحديد السلوك من خلال توجيه عمليات النمو في مختلف أبعادها العاطفية والمعرفية والاجتماعية والسلوكية. كذلك فإن غنى وتنوع الميزات الثقافية المتوفرة للطفل له أهمية في عملية النمو اللغوي.

إن اللغة تصنع الفكر وتقوبله، حيث إن الفكر مبنٍ كلغة ومحدد بأطر هذه اللغة وبنائها وتوجهاتها، اللغة كبنية وأسلوب تحدد النظرة العامة إلى الوجود، إنها أفق الفكر باعتبارها الحزان الثقافي الذي يلخص تجربة الأمة، ومن هنا برزت أهمية اللغة العربية في الخطة الشاملة للثقافة العربية، فاللغة تشكل سندا أساسيا للهوية (حجازي، 1990، 164)

إن دور الثقافة في نمو اللغة عند الطفل تتعلق بالمناخ اللغوي الأسري ونوعية التفاعل بين الطفل ومحيطه الأسري فكلما كان المحيط أكثر غنى بالمثيرات زادت فرص نمو اللغة، وكلما كانت كثافة التفاعل أكبر تفتحت شهية الطفل بدرجة أعلى.

2.3. القنوات الخاصة ودورها في تثقيف الطفل:

مما لا شك فيه أنّ الفضائيات تلعب دور الوسيط في نقل المعلومات والقضايا والأخبار، بشأن ما يدور في بلدان العالم المختلفة، وتسهم في إثراء المحتوى الثقافي وتعزيز القيم لدى الجمهور المستهدف من الرسالة الاتصالية.

وتؤكد دراسات ميدانية أن التلفزيون ولا سيما القنوات الفضائية الموجهة للأطفال قد أصبحت للغالبية العظمى منهم صديقا وموجها، اختاروه لأنفسهم، وقد أجابت طفلة في السابعة من عمرها عن سؤال: مما تتكون أسرته؟ قائلة: من بابا وماما وجدتي والتلفزيون (كينوفونوف، تر خصور، 2003، 56)، يحدث هذا في ظل تراجع الدور التربوي للأسرة والمدرسة ورياض الأطفال، وعوامل أخرى تتعلق بالطفل نفسه، وباختلاف أطوار نموه فالأطفال لا يشكلون جمهورا متجانسا لذلك قسمت مراحلهم العمرية من مرحلة الميلاد، ومرحلة الطفولة المبكرة، ومرحلة الطفولة المتوسطة، ومرحلة الطفولة المتأخرة ولكل مرحلة ثقافة فرعية خاصة تتوافق مع خصائص وحاجات الطفل في مرحلته، ولكنها تشترك في سمات عامة وأيضاً تختلف عن الأخرى في سمات عديدة، فقيم الأطفال في طور الطفولة المبكرة وعاداتهم وطرق التعبير عن انفعالاتهم ووسائل اشباع بعض حاجاتهم وحصيلتهم اللغوية تختلف عن تلك التي يختص بها الأطفال في طور الطفولة المتأخرة (الهيبي، 1988، 13)

كما تؤكد دراسة أخرى أن ما أسهم في تعميق تأثيرات الفضائيات على الأطفال اعتماد القنوات العربية الموجهة للطفل على برامج الأطفال المستوردة من الدول الأجنبية كأوروبا وأمريكا واليابان والصين، ومن المظاهر السلبية البارزة التي تتضمنها هذه الأفلام المستوردة زج الطفل العربي والمسلم في متناقضات لا علاقة لها بواقعه أو ثقافته إضافة إلى العنف، والجنس، والمغالطات التربوية، والخرافات والأفكار التي تتسم بالزيف والتحريف، وتعمل على إضعاف الانتماء للوطن والمنطقة، كما أنها تعمل على توسيع قاعدة الاغتراب في المستقبل القريب، والاغتراب تعبير عن عدم الرضا والرفض لمجتمعه وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان، وأخطره فقدان الذات، وفقدانهم للثقة بأنفسهم (معوض، 2002، 170)

ومما يزيد المشكلة تعقيدا ظهور فئة من المنتجين التجار الذين يعملون على تصنيع الثقافة الإعلامية بمواصفات لا تعتمد المقاييس الفنية والجمالية بقدر ما تعتمد على الجذب والإثارة، في ظل وجود سياسات إعلامية لها ثوابت معينة مستندة إلى أسس التخطيط الإعلامي الذي يحاول البحث عن مواد إعلامية تحقق لها الشعبية وتزيد من نسب مشاهديها، ولا يهتمهم أن يحفظوا للجمهور أمنهم الثقافي واللغوي.

3.3. اللغة العربية لنقل ثقافة غير عربية: تحدي الهوية، العولمة، اللهجات:

للغة بعد آخر أعلى مرتبة من كونها أداة للتواصل، أو وسيلة يعبر بها عن المشاعر والعواطف، فهي الرمز الأسمى المعبر عن الهوية.

"لا يمكن الفصل بين اللغة والهوية"

الهوية كما يعرفها الباحثون: "مجموعة الخصائص والمميزات التي ينفرد بها فرد أو شعب أو أمة، والتي تتوارث عن ماضي ذي تاريخ وتراث، وما في التراث من لغة ودين، وما للأمة من انتصارات وانتكاسات وطموحات وانتماءات، وخصائص تجعل من ينتمي إليها ذا ذاتية متميزة عن غيره" (بوطالب، 1991، 107)

"لم تعد اللغات الأجنبية هي العدو الأول للغة العربية، وإنما العدو الذي في مستطاعه أن يجhez على العربية فيذهب بريحها هو اللهجات العامية حين تكتسح المجال الحيوي للفصحى، ولاسيما حين تغزو قلاع المؤسسة التعليمية" (المسدي، 2014، 262)، صف إلى ذلك المؤسسة الإعلامية بفروعها في الواقع وفي المجال الافتراضي، إذ أخذ استعمال العامية فيها توجها خطيرا يجعلها أحد أسس السياسات الإعلامية، لحيازة الريادة ونشر لهجة المنطقة أو عاميته بدل العربية الفصحى التي كانت قبل سنين محط هذا الاهتمام، وهذا ما نلاحظه في دبلجة الأفلام والمسلسلات وبرامج الأطفال، فبعدما كانت الفصحى هي لغة الدبلجة أصبحت اليوم كل دولة تدبلج محتويات قنواتها من برامج بلهجتها المحلية بذريعة أن الامر بات مطلبا جماهيريا

4. الحقوق الإعلامية للطفل العربي والجزائري:

لقد تم صياغة العديد من الوثائق الاعلانية العالمية، والعربية والتي تنص على ضرورة التمتع بحرية الرأي والتعبير، واعتناق الآراء دون مضايقة، وفي التماس الأنباء والأفكار، وتلقيها ونقلها إلى الآخرين بأية وسيلة ودونما اعتبار للحدود، وفي التشريعات العربية تنقسم حقوق الطفل المتلقي للبرامج التلفزيونية إلى قسمين: يتعلق القسم الأول بحق الطفل في الإعلام وفي الحصول على المعلومات المناسبة من مختلف وسائل الإعلام، ويتعلق القسم الثاني بحق الطفل في الحماية من الاعلام نفسه. ويعتبر ميثاق حقوق الطفل العربي المؤرخ في ديسمبر 1984، والذي صادقت الجزائر عليه، وساهمت في تحقيقه، أول ميثاق عربي يهتم بشريحة الأطفال تبنته جامعة الدول العربية، جاء ضمن بنوده

اعتماد وسائل الإعلام المختلفة وتوجيه جهدها وبرامجها لخدمة قضايا الطفولة، كما أكد على ضرورة تنقية ما تقدمه أجهزة الاعلام من البرامج المستوردة المنافية للقيم العربية لتأثيرها السلبي على الأطفال (غزال، 2008، 47). وتوالت الاتفاقيات والجمعيات المناقشة لحقوق الطفل الثقافية والإعلامية منها الخطة القومية الشاملة لثقافة الطفل العربي بتونس سنة 1993، والتي يتم بموجبها اعتماد مبادئ وآليات العمل في مجال ثقافة الطفل، ومرجعا للمؤسسات العاملة في مجال الطفولة والباحثين، من الأقطار العربية، حيث اشتملت على أهم التوجهات والأسس العامة الواجب الاعتماد عليها عند إعداد أي أنشطة أو مداخلات بصفة مرجعية مراعاة للسمات العامة للثقافة العربية، واقترحت مجموعة من الخطوات الإجرائية من بينها ما يخص الإذاعة والتلفزيون باعتبارهما من وسائط الثقافة.

وفي سنة 1997 قامت مجموعة الدول الافريقية بعقد مؤتمر في غانا، لمناقشة حقوق الطفل في وسائل الإعلام في ضوء احتياجات الأطفال في افريقيا: التعليمية، والإنمائية والثقافية، وخرج المؤتمر بتوصيات كان من أبرزها التركيز على الجودة في إنتاج البرامج، مع مراعاة التنوع والمحتوى، وتجنب إثارة دوافع العنف والجنس، وتوفير كل الإمكانيات الفنية والمالية من قبل الوكالات المجتمعية لتحقيق ذلك، كما تم التنويه إلى أهمية عرض في أوقات مناسبة للأطفال. وفي نفس السنة، اعتمد مجلس التعاون لدول الخليج العربي إعلانا ضم مجموعة من الأهداف والاستراتيجيات الإعلامية من أجل دعم التنشئة الاجتماعية للأطفال وكيفية استثمار أجهزة الاعلام لتحقيقها (العياري، 2002، 43). بالإضافة إلى إعلان القاهرة حول "عالم عربي جدير بالأطفال" سنة 2002، ومؤتمر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالملكة المغربية سنة 2010، استكمالا للجهود العربية المبذولة طيلة عقدين من الزمن في شأن حقوق الطفل. ولعل أهمها المبادرة التي شارك فيها مختلف الهيئات والمجالس العربية، سنة 2015 بالقاهرة، من أجل نشر ثقافة حقوق الأطفال، ودور الإعلام كشريك أساسي في التوعية بقضاياهم، حيث شارك في ورشة العمل عدد كبير من الإعلاميين يمثلون مختلف الوسائل الإعلامية.

الجزائر وبالرغم من مصادقتها علي أغلب القوانين والتشريعات العربية والعالمية الرامية الي حماية الطفل من الإعلام، إلا ان المشرع الجزائري لم يرافقها بمواد قانونية تحمي حقوق الطفل في الإعلام في جميع القوانين المنظمة للمهنة في الجزائر، حتى بعد المساعي الإصلاحية وانفتاح قطاع السمعي البصري سنة 2012، إلا أن مكانة الطفل ضمن التعددية الإعلامية غير بارزة، ولا ترقى إلى مستوى إشباع الطفل وحاجياته، لأسباب ترتبط أغلبها بالجوانب التجارية والتمويل، وبالتالي أقبل الطفل على القنوات الوافدة بشكل منقطع النظير، وخاصة منها القنوات العربية، والتي لقيت استحسانا من طرف الأطفال والأولياء معا، بحكم تقارب الثقافات رغم ما حملته من خصوصيات، وواقع مختلف، تأثر به أطفالنا لدرجة ترديد أناشيد ووصلات غنائية بلهجات تلك القنوات، كما تبين تسرب عقائدي ديني في بعض الأحيان، مما أعاد طرح إشكالية اللغة والثقافة والهوية من جديد.

إن واقع اعلام الطفل العربي ليس على المستوى الذي يمكنه من القيام بدوره في تربية واعداد الطفل العربي وتثقيفه، فخطورة التقصير في وسائل الاعلام العربية تجاه الطفل العربي هي ما فتح الباب أمام وسائل الاعلام والثقافة الغربية التي غزت اعلام الطفل العربي، مما يكون له أسوأ الأثر في تشكيل شخصية الأطفال العرب وقيمهم وعقيدتهم (متولي، 2009، 28)

5. ارتباط الأمن اللغوي والثقافي باستعمال اللغة العربية، ومحتوى المواد المعروضة للطفل:

إن الكثير من قنوات الأطفال يتم تعريب أو دبلجة برامجها باللغة العربية دون الانتباه إلى مضمون هذه البرامج، لاسيما وأنها تعكس ثقافات وديانات وتطلعات متباينة أشد التباين، وأن نسبة غير قليلة من الناس قد سلمت أبناءها للفضائيات التي تنتمي إلى أكثر من 130 بلدا

في العالم من غير قيود تذكر (IsIamonline.net-2003)، ربما بدافع حمايتهم من أخطار الشارع، ولتعويضهم عن بعض الحرمان وقلة المرافق العامة، واختفاء شبه كلي للألعاب الجماعية والشعبية التي ميزت طفولة الأجيال السابقة. وإذا أتينا إلى استعمال اللغة العربية في الإعلام عموماً، والموجه للطفل خاصة، لاحظنا العديد من الخروقات اللغوية، مع طغيان الاستعمال اللهجي على حساب الفصحى، مما يؤدي إلى ترددها على الألسن، فتصبح مع الوقت جزءاً من حصيلة الأطفال اللغوية، والأمثلة على ذلك كثيرة، وحصرها يتطلب دراسة ميدانية أوسع وأشمل تمس جميع المستويات اللغوية: الصوتية والتركيبية والمعجمية والدلالية والتداولية، حيث تتسرب عبر البرامج الفضائية الموجهة للطفل ألفاظ وعبارات وتراكيب لغوية غير سليمة في نطقها، أو غير صحيحة صياغة وتركيباً، وهذا ما لاحظناه من خلال انحراف نطق بعض المذيعات وتبديل بعض الحروف، على سبيل السخرية واللهو، كقول إحداهن في موقف معين "حنام" بدل "حرام"، بالإضافة إلى كلمات غير عربية، وحتى المندرجة في باب العنف اللفظي، كل ذلك يعتبر مساساً بأمن اللغة العربية، سواء كان مقصوداً أو غير مقصود.

6. قراءة في مواد قناة موجهة للأطفال (mbc3) :

تمثل قناة mbc3 إحدى القنوات المتخصصة في برامج الأطفال بشكل عام، تم اختيارها كنموذج لتحليل من بين العديد من القنوات الخاصة بالأطفال التي يتابعها الطفل الجزائري، ولأنها تتبوأ المركز الأول في العالم العربي من بين القنوات المتخصصة بالطفل، وهي تبث موادها التلفزيونية على مدار الساعة، في قوالب وأشكال فنية مختلفة، وبرنامج متنوع يخدم البحث في سياق التقصي عن الاتجاهات اللغوية والثقافية في محتوى تلك البرامج، والتي نزع أنها تساهم في تحقيق الأمن اللغوي والثقافي للطفل العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص، أو أنها بعيدة كل البعد عن هذا المسعى السامي. وذلك عن طريق القيام بتصنيف البرامج المعروضة في القناة على مدار أسبوع صناعي كامل، بحكم أن العرض يتكرر على المنوال نفسه. وكان التقسيم مبنياً على ثلاثة اعتبارات هي: المصدر-اللغة-الوظيفة، تم تلخيصها في جداول، وتدعيمها بمخططات توضيحية على النحو الآتي:

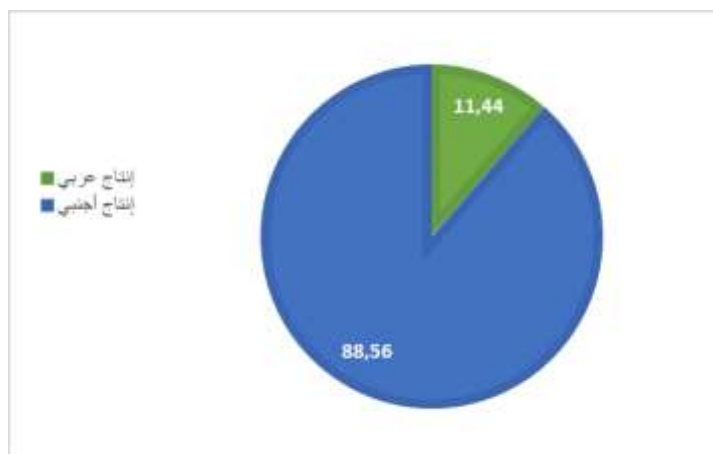
أولاً: من حيث المصدر:

ويقصد به جهة الإنتاج، أو المؤسسة المنتجة لبرامج الأطفال المعروضة على قناة mbc3 الفضائية، وهي تنقسم إلى: عربي محلي، وغالبا يكون من دولة مصر، أو من الخليج، وإما يكون الإنتاج أجنبي من اليابان وأمريكا وبريطانيا وكذلك فرنسا.

الجدول 1: يوضح نسبة البرامج حسب مصدر إنتاجها في القناة

جهة الانتاج	النسبة المئوية
عربي (مصري أو خليجي)	11.44%
أجنبي مجموع الدول المنتجة	88.56%

الشكل 1: توزيع مصدر إنتاج البرامج في قناة mbc3



التحليل: كانت الغلبة من حيث النسبة للإنتاج الأجنبي بنسبة قدرت ب (88.56%) من مجمل البرامج المعروضة طيلة الأسبوع، مثل قالب الرسوم المتحركة الحصة الأكبر مقارنة بالقوالب الفنية الأخرى، وهذا ما يتوافق مع ميل الطفل عادة، وما تأكده الدراسات القائلة بأنّ مسلسلات الكارتون هو الشكل الفني الأكثر طلباً ومشاهدة من الجمهور الصغير، وقناة mbc3 تعتمد بشكل كبير على المواد المنتجة في مؤسسات أمريكية على غرار "ديزني". في حين احتلت البرامج التي تنتجها القناة بنفسها، أو من إنتاج مصري نسبة (11.44%)

ثانياً: من حيث اللغة المستعملة:

ويقصد بها اللغات المستخدمة في برامج الأطفال في قناة mbc3 الفضائية، سواء كانت مكتوبة (الترجمة)، أو منطوقة (الدبلجة)، واستبعدت البرامج الصامتة، من مجموع المواد الخاضعة للتقييم وهي تنقسم إلى: العربية الفصحى وأغلبها مدبلجة، العامية سواء من إنتاج القناة، أو مدبلجة بالعامية، والأجنبية المترجمة، حيث تمثلت الأجنبية في اللغة الانجليزية.

الجدول 2: يوضح نسبة كل لغة من اللغات المستخدمة في القناة

اللغة المستعملة	النسبة المئوية
العربية الفصحى	65%
اللهجات: العامية المصرية أو الخليجية	23.13%
الأجنبية المترجمة	11.87%

الشكل 2: توزيع مصدر اللغة المستخدمة في برامج قناة mbc3

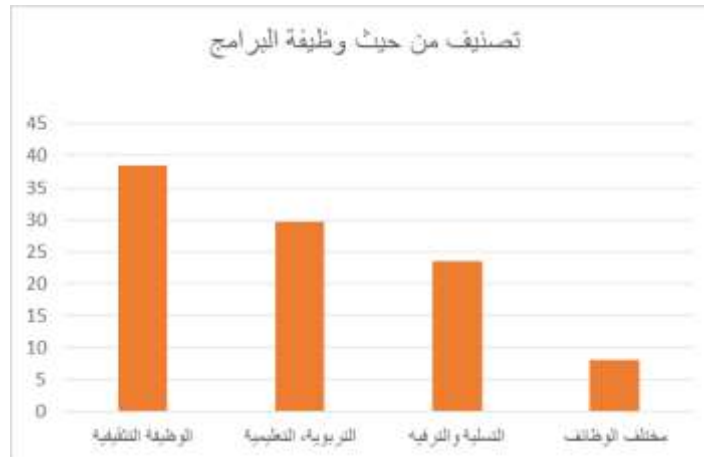


التحليل: هذا التوجه المتنوع في اللغات إنما هو مقصود من طرف القائمين على القناة، خدمة للمكون الجماهيري العربي وغير العربي ضمن مساحة بث القناة، كما أن الأطفال يستفيدون من الترجمة المكتوبة (بشريط أسفل الشاشة) لتنمية مهاراتهم القرائية، وتعلم اللغة الإنجليزية. وقد غلب ظهور اللغة العربية في لغات البرامج بنسبة فاقت المتوسط، وهو المسلك الصحيح دعماً للغة العربية، وتعزيزاً لها في نفوس الأطفال، وجعل المخاطبة بها نموذجاً يحتذى به الطفل.

ثالثاً: حسب الوظيفة:

تنوعت مجالات البرامج المعروضة في القناة على مدى الأسبوع الصناعي بين الوظيفة الثقافية، والتربوية، والترفيهية، ومتعددة الوظائف. وجاء في مقدّمة تلك المجالات برامج الأطفال الثقافية بنسبة مئوية بلغت (38.57%)، وفي المرتبة الثانية حلّت البرامج ذات الطابع التربوي، بنسبة (29.77%)، أما في المرتبة الثالثة فقد حلّت برامج الأطفال الترفيهية بنسبة (23.62%)، أما البرامج المتعدد الوظائف فقد بلغ نسبة تواجدها في القناة (8.04%)، أي أن الهدف التثقيفي وتزويد الطفل بالمعلومات والثقافات المختلفة هو أولوية القناة، حيث جاء التركيز عليها. والمخطط الموالي يلخص ترتيب كل الوظائف.

الشكل 3: يوضح نسبة البرامج المعروضة على القناة حسب وظيفتها



7. خاتمة وتوصيات:

يشهد اعلام الطفل اليوم تناميا ملحوظا، وأصبح أكثر قربا من الطفل بفضل ما هو متاح له من وسائل اتصالية، هذا الانتشار السريع حمل معه أساليب جديدة وأكثر تطورا لاستمالة الطفل والسيطرة على عقله وسلوكياته وصولا إلى تهديد أمنه الثقافي واللغوي، وقد رصدنا في بحثنا هذا بعضا من صور الاستخدام اللغوي على القنوات المتخصصة بالطفل والتي من شأنها تجسيد واقع اللغة العربية في الاعلام، وعليه فإن الاهتمام بمضامين برامج الأطفال من جميع جوانبها مع التركيز على اللغة باتت أولوية لدى المهتمين باللغة العربية من أجل النهوض بأمنها لذلك نقترح بعضا من الحلول تتمثل في:

- دعوة المؤسسات التعليمية والتربوية إلى ترسيخ مكانة اللغة العربية في نفس الطفل العربي، وأن تربطه بها بروابط الانتماء والهوية، وليس مجرد روابط التواصل والاستعمال.
- دعم البرامج الوطنية التي تربط الطفل الجزائري بهويته ووطنه، ورفع الوعي بأهمية اللغة العربية وقيمتها ومكانتها في صناعة الثقافة والنهوض بها.
- القنوات الخاصة بالأطفال على غرار mbc3 وسيلة مناسبة لاكتساب مهارات اللغة العربية الفصيحة، وعامل مساعد لتعزيز النمو اللغوي عند الطفل، ما إن استخدمت أسلوبا مشوقا للعرض، وبعيدا عن اللهجات العامية.
- ضرورة امتلاك كفاءة في اللغة العربية لصناع النصوص و مترجميها، وتدعيم الهيئات المسؤولة للقيام بدورها في تحسيس المدققين والقائمين على برامج الأطفال بأهمية قضية اللغة العربية وشرعيتها في الوقت الراهن، ودورهم في تحقيق الأمن اللغوي والثقافي، وأن يؤمنوا بأن نصوصهم يمكن أن تكون قناة لتعليم اللغة العربية فهي نصوص ثقافية بالدرجة الأولى، قبل الاهتمام بإثراء خيال الطفل وإمتاعه وتسليته.

- أن تكون اللغة الموجهة للناشئة بسيطة، شائقة وجذابة ومن الحياة المعاصرة بأساليب سهلة حرصا على سيرورتها وانتشارها، وتخدم المهارات اللغوية الأربع: السماع-القراءة-المحادثة-الكتابة.
- اعتماد اللغة العربية الفصحى لعملية الدبلجة بالنسبة للبرامج الأجنبية، لجعلها مناسبة لجميع الأطفال العرب دون طغيان لهجة معينة.
- كما للأدب على اختلاف دروبه (المسرحية، الشعر، القصة...) دور كبير في تحقيق الأمن اللغوي والثقافي ما لم يتم التدوين باللهجات، في ظل المساعي لإحيائها والتي تعد أحد مسببات الضعف اللغوي ومعوقات التواصل لدرجة الحاجة إلى ترجمة لتحقيقه.
- الحاجة إلى تشريعات إلزامية للحفاظ على اللغة العربية انطلاقا من التوصيات التي أثمرت عن المجمعات اللغوية والمكتبات العلمية كما نقترح إجراء مزيد من الدراسات لبيان العلاقة بين لغة الطفل الجزائري والاعلام، ومدى تأثيره سلبا وإيجابا، لأن كل حديث عن اللغة سعيًا للحفاظ عليها وتطويرها وترقيتها إنما هو سبيل من سبل الحفاظ على أمنها.